www.kotobarabia.com

السخاوى

التماس السعد في الوفاء بالوعد

www.kotobarabia.com

إلتماس السعد في الوفاء بالوعد

السخاوي

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

جميع حقوق النشر و التوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية. يحظر نقل أو إعادة نسخ أو إعادة بيع اى جزء من هذا المصنف و بثه الكترونيا (عبر الانترنت أو للمكتبات الالكترونية أو الأقراص المدمجة أو اى وسيلة أخرى) دون الحصول على إذن كتابي من كتب عربية. حقوق الطبع الو رقى محفوظة للمؤلف أو ناشره طبقا للتعاقدات السارية.

الفهرس

- **خطبة الكتاب ٤**
- **موضوعات الكتاب ٦**
  - وعد الله لرسوله بالاستخلاف في الأرض :............ ٨
  - حكم الوفاء بالوعد :...................................... ١٧
  - الآحاديث الواردة في الوفاء بالوعد : ٢٤
  - اشعار الوفاء بالوعد : ٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسـولك النبـي الأمي الحمد لله الذي لا يخاف وعده ولا يمنع سائله رفده ولا ينقص مع كثرة عطاياه ما عنده واشهد ألا إله إلا الله الملـك المعبود وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

من عليه المعول والعمدة وبه يتوسل عند المـولى في كل كرب وشدة صلى الله عليه وسلم وعلى آلـه وصـحبه الذين خلفوه في الأمر بعده صلاة وسلاما غير متقيـد فيهمـا بمدة.

وبعد فهذا تصنيف لطيف سميته [التماس السـعد فـي الوفاء بالوعد] جمعت فيه ما تيسر لي الوقـوف عليـه مـن الأحاديث والآثار ومناسبات الأشعار وافتتحته بآية في المعنى مع طرف من تفسيرها الاسنى ليتوافق دليل السنة والكتـاب ويظهر قوة من جنح في ذلك للوجوب من الأصـحاب كمـا سيأتي في موضعه مع إيضاحه وبيان قوة منزعه جعلته عند

مولانا الملك الأشرف لي ذخيرة رجا أن يلحظني بما ترجـع به العين بجيد نقده فريده ويتذكر بمجرد النظر فيـه سـابق وعده الصادق ويتخير من التقرير المعتبر ما يندرج في عموم بره ورفده وهو للغرض موافق ﴿ وليبدلنّهم من بعدِ خَـوفِهم أمنا يعبدونَني لا يشركون بي شَيئا ومن كَفَر بعد ذَلِك فأُولَئِك هم الفاسِقون ﴾ وهذه الآية الشريفة الذي الابتدا بهـا تشـتمل على مقصد من الأغراض اللطيفة ويتأتى الكلام عليهـا مـن عشرين وجها فأكثر من العلوم العقلية والنقلية التـي لا شـاذ فيها ولا منكر لكني اقتصرت منها على ما اقتضـاه الحـال واتضح فيه المقال.

موضوعات الكتاب

سبب نزول قوله تعالى ﴿ يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾ .

فأولها سبب النزول المعنى بشأنه العلماء الفحول وقد أخبرني به الإمام العز أبو محمد الحنفي رحمه الله مشافهة غير مرة عن غير واحد منهم أبو حفص المزي أنا أبا الحسن السعدي أنبأهم عن عبد الواحد بن أبي المطهر الصيدلاني قال أخبرني أبو سعد الاسماعيلي قال أخبرنا عمر بن شاه قال أخبرنا السيد أبو الحسن الحسني قال أخبرنا أبو محمد بن الشرقي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي قال حدثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية واسمه رفيع عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة وآواهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه فقالوا وهذا حديث حسن أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط عن محمد بن اسحاق المروزي عن أحمد بن سعيد الدارمي به باختصار فوقع لنا بدلا له

عاليا ورواه الضيا في المختاره عن عبد الواحد فوافقناه فيـه بعلو وأخرجه الحاكم في صحيحه المستدرك عن محمد بـن صالح بن هاني عن محمد بن شاذان عن أحمد بـن سـعيد الدارمي فوقع لنا عاليا وقال الحاكم عقب تخريجه إنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه ورويناه في دلائل النبوة للبيهقـي عـن الحاكم وقال الطبراني لا يروى عن أبي إلا بهذا الإسناد تفرد به أحمد قلت وهذه الدعوة مردودة فقد رواه ابن مردويه فـي تفسيره عن سليمان بن أحمد عن أحمد بن الخضر عن محمد بن عبده عن علي بن الحسين به نحوه.

ورواه أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسيره أيضـا من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع لكن بدون أبي قـال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة نحوا من عشر سنين يدعون إلى الله وحده وعبادته وحده لا شريك له سـرا وهم خايفون لا يؤمرون بالقتال وكانوا بها خايفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح فغبروا بذلك ما شاء الله ثم أن رجلا من الصحابة قال يا رسول الله أبد الدهر نحن خـايفون هكذا ما يأتي عليها يوم نأمن فيه ونضع فيه السـلاح فقـال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن تغبروا إلا يسيرا حتـى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم .

وعد الله لرسوله بالاستخلاف في الأرض :

وثانيهما أن هذا وعد من الله عزوجل لرسوله صـلى الله عليه وسلم بأنه سيجعل أمته خلفاء في الارض أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فـيهم لفظـا ومعنـى والوعد من الله متحتم الوقوع على ما سأوضـحه فـي هـذا المجموع فقد فعل الله تبارك وتعالى ذلك وله الحمـد والمنـة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت حتـى فـتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر الجزيرة العربيـة وأرض اليمن بكمالها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومـن بعـض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم والمقـوقس صـاحب مصر والإسكندرية وملوك عمان والنجاشي الذي تملك بعـد أصحمة رحمه الله وأكرمه ثم لما مات رسول الله صـلى الله عليه وسلم واختاره الله لما عنده من الكرامة قام بالامر بعـده خليفته أفضل الأمة بعده وكان أول من أسلم من الرجال على

التحقيق أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بويع في اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة ثم بويع البيعة العامة يوم الثلاثاء من غد ذلـك اليـوم وذلك في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشر فلم شـعث مـا وهي عند موته عليه السلام وأطد جزيرة العـرب ومهـدها وبعث الجيوش الاسلامية إلى بلاد فارس صحبة خالـد بـن الوليد رضي الله عنه ففتحوا طرفا منها وقتلوا خلقـا منهـا وجيشا آخر صحبة أبي عبيدة بن الجراح رضـي الله عنـه ومن معه من الأمراء إلى أرض الشام وثالثا صحبة عمـرو بن العاص رضي الله عنه إلى أرض مصر ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليفها من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله عزوجل واختار له ما عنده وذلك وهو موسوم في مسا يوم الاثنين لثمان بقين من جماد الآخرة سنة ثلاث عشرة فكانت خلافته رضي الله عنه سنتين ودون أربعة أشهر ومن الله على الإسلام وأهله بـأن ألهـم الصـديق أن يستخلف عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه وبويع له يوم مات أبو بكر بنص أبي بكر عليه فقام بالأمر بعده قيامـا تاما لم يدر الفلك بعد الأنبياء عليهم السلام وصاحبه على قوة

سيرته وكمال عدله وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكاملها وديار مصر إلى آخرها وأكثر اقليم فارس وكسر كسرى وأهانه غاية [الإهانة] وتقهقر إلى أقصى مملكته وقصر قيصر وانتزاع يده من بلاد الشام فانحاز إلى قسطنطينية وأنفق أموالهما في سبيل الله كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قتل رضي الله عنه ودفن في يوم الأحد مستهل المحرم سنة أربع وعشرين وكانت خلافته عشر سنين ونصف سنة وهو أول خليفة تسمى بأمير المؤمنين قال بعض السلف - رضي الله عنهم - خلافة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - حق في كتاب الله ثم تلى هذه الآية وروينا في الحادي عشر من المجالسة عن ابن قتيبة أنه قال هذه الآية شاهدة لخلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقوله تعالى: ﴿ لَيستَخلِفَنَهم في الأرض ﴾ أي بعد النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بقوله من بعد خوفهم أمنا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا الخايفين في صدر الاسلام وقبل الهجرة والمستضعفين ثم وجدوا بعد هذا جميع ما وعدهم الله به من النصر والظفر والظهور والعز ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الاسلامية إلى أقصى

مشارق الارض ومغاربها ففتحت بلا الغرب إلى أقصى مـا هنالك الأندلس وقبرص وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلـي البحر المحيط ومن ناحية المشرق إلى اقصى بلاد الصـين وقتل كسرى وباد ملكه بالكليـة وفتحـت مـداين العـراق وخراسان والاهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمـة جدا وخذل ملكهم الاعظم خاقان وجبى الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك ببركة تلاوته وجمعه الأمى على حفظ القـرآن وتلاوته وكانت خلافته بإجماع الصحابة بعد موت عمـر - رضي الله عنه - في المحرم سنة أربع وعشرين وقتـل بعـد عصر الجمعة من ذي الحجة سنة خمسة وثلاثـين وكانـت خلافته دون اثنتي عشرة سنة بأيام وبويع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة بعده وبما تقدم ظهر قوله صـلى الله عليه وسلم الذي ثبت في الصحيح إن الله زوى لـي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى منـه) وقوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم رضـي الله عنـه حين وفد عليه أتعرف الحيرة قلت: [لم أرها] وقد سمعت بها قال فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمـر حتـى تخـرج

الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحـد ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز قلت كسرى بن هرمز قـال نعم كسرى بن هرمز وليبذلن المال حتى لا يقبله أحـد قـال عدي: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى والذي نفسي بيـده لتكونن الثالث لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالهـا وقوله بشر هذه الأمة بالسنا والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب وها نحن نتقلب فيما وعدنا الله - عزوجل - ورسوله صلى الله عليه وسلم فصدق الله ورسله وجل ونسأل الله الإيمان به وبرسوله والقيام بشكره علـى الوجـه الـذي يرضيه عنا وسلوك سبيله ونصر ملكنا على أعدائه وامتـداد العدل في رعيته في ابتداء ملكه وإنهائه فإنه ممن أكسـبه الله محاسن جمة لو لم يكن منها إلا تحريه في الولايات المهمـة وتثبته في العزل غلا بجنحة ونظره في المصـالح المهمـة بنفسه ليتخير منها ما يراه أقرب إلى الصحة والأمن بمهابتـه في الطرقات والسبل وجلالته في الأنفس [خصوصا] من جل ونبل وشهامته وشجاعته وصيانته وعبادته وطلعتـه النيـرة

وبهجته المشتهرة بارك الله في أيامه وأسعده فـي خواصـه وخدمه.

وعن الأصمعي قال قيل للحسن رحمه الله إنك كنـت تقول الآخر أشر وهذا عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج فقال الحسن لا بد للناس من متنفسات.

رواه الدينوري في المجالسة في الجزء الثالث عشـر منها قال البراء بن عازب رضي الله عنهما إن هـذه الآيـة نزلت ونحن في خوف شديد يعني فحصل ما وعد الله تعـالى به من الأمن فكانوا كذلك آمنين بقية حياة رسول الله صـلى الله عليه وسلم ثم كانوا آمنين في امارة أبـي بكـر وعمـر وعثمان رضي الله عنهم حتى وقعوا فيما وقعوا فيه فأدخـل عليهم الخوف فاتخذوا الشرط وغيروا فغير بهـم فالصـدر الاول وهم الصحابة رضوان الله عليهم لما كانوا أقوم الناس بعد الرسول صلى الله عليه وسـلم بـأوامر الله عزوجـل وأطوعهم لله وأشـدهم إظهـارا لكلمـة الله فـي المشـارق والمغارب كان نصرهم بحسبهم فأيـدهم الله تأييـدا عظيمـا وتحكموا في سائر البلاد والعباد ولما قصر الناس بعدهم في

بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم لكن قـد ثبـت فـي الصحيحين من وجوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة**) وفي رواية حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وفي رواية حتى يقاتلون الـدجال وفي رواية حتى ينزل عيسى بن مريم عليـه السـلام وهـم ظاهرون.

وكل هذه الروايات صحيحة ولا تعارض بينهـا وقـد فسر غير واحد من الأئمة هذه الطائفة بأصـحاب الحـديث الذين قال فيهم إمامنا الشافعي - رحمه الله - إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نسأل الله التوفيق والإلهـام لأقـوم طريق ثم اعلم أنه قد ذكر في هذه الشريفة مـن الأحاديـث المنيفة ما ظاهره التعارض وهو ما في الصحيحين عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يزال أمر الناس ماضيا ما ولـيهم أثنـى عشر رجلا ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيـت علي فسالت أبي ماذا قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم

فقال: قال كلهم من قريش وما رواه الإمام أحمد وأبـو داود والترمذي والنسائي وصححه ابن حبان والحـاكم وغيرهمـا كلهم عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا.

ووجه التعارض أن الأول فيه دلائل على أنه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادل من قريش وهم الذين وقعت بهم البشارة في الكتب المتقدمة وليسوا هم بأئمة الشـيعة الإثنـي عشر فإن كثيرا من أولئك لم يكن إليهم مـن الأمـر شـيء بخلاف هؤلاء فإنهم يكونون من قريش والثاني فيـه الـنص على ثلاثين سنة ثم تكون ملكا عضوضا أي يصيب الرعية فيه عسف وظلم كأنهم يعضون فيه عضا ولم يكن في هـذه المدة المحددة إلا الخلفاء الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأيام الحسن بن علي رضي الله عنهم وأجيب عن ذلك بأجوبة منها: أنه ليس في الأول أن العدد المذكور على الولا فيحتمل على وجودهم في الأمة متتابعا ومتفرقا حسبما وقـع في الخارج فقد وجد منهم الأربعة المذكورون على الولا ثـم كانت بعدهم فترة ثم وجد منهم ما شاء الله ثم قد يوجد مـنهم

من بقي في الوقت الذي يعلمه الله ومنهم المهدي الذي يطابق اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته كنيته يمـلأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عزوجل بدأ هذا الأمر نبوة ورحمـة وكاينـا خلافة وكاينا ملكا عضوضا وكاينا عتوا وجبرية وفسادا في الأمة يستحلون الفروج والخمور والحرير ويرزقون مع ذلك وينصرون حتى يلقوا الله عزوجل وهو حـديث حسـن رواه الدارمي والطيالسي في مسنديهما ومما يشبه هذه الآية قوله تعالى: ﴿ إِذ أَنتُم قَليلٌ مستَضعفون فـي الأَرض تَخـافون أَن يتَخَطَفَكُم الناس فَآواكُم وأَيدكُم بِنَصرِه ورزقَكُم مِن الطَيبـاتِ لَعلَكُم تَشكُرون ﴾ .

وقوله تعالى عن موسى عليه السلام أنه قال لقومـه ﴿ عسى ربكُم أَن يهلِك عدوكُم ويستَخلِفَكُم في الأَرضِ فَينظُـر كَيفَ تَعملون ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ ونُريد أَن نَمن على الذين اِستُضـعِفوا ونَجعلَهم أَئِمةً ونَجعلَهم الوارِثين ونُمكِـن لَهـم فـي الأرضِ ونري فِرعون وهامان وجنودهما مِنهم ما كانوا يحذرون ﴾.

حكم الوفاء بالوعد :

وثالثها في حكم الوفاء بالوعد وقد قال قطب زمانه أبو زكريا النووي رحمه الله في الأذكار قد أجمع العلماء على أن من وعد إنسانا شيئا ليس بمنهي عنه فينبغي له أن يفي بوعده وهل ذلك واجب أو مستحب فيه خلاف بينهم فذهب الشافعي وابو حنيفة رحمهما الله والجمهور إلى أنه مستحب فلو تركه فاته الفضل وارتكب المكروه كراهة تنزيه شـديدة ولكـن لا يأثم انتهى وقال المهلب انجاز الوعد مأمور به مندوب إليـه عند الجميع وليس بفرض لاتفـاقهم علـى أن الموعـود لا يضارب بما وعد به مع الغرماء وتعقب شـيخنا رحمـه الله دعوة الاتفاق على عدم الفرضية فقد قال النووي عقـب مـا تقدم وذهب جماعة إلى أنه واجب قال الإمام أبو بكـر بـن العربي المالكي أجل من ذهب إلى قلت وفي كتاب الغرر من الاخبار لوكيع قال حدثنا شيخ قال حدثنا محمد بن عبيد عـن

أبيه أن ابن اشوع قضى له بعده وابن أشوع هذا قرأت بخـط الحافظ الدمياطي أنه سعيد بن عمرو بـن أشـوع الهمـداني الكوفي القاضي حدث عن الشعبي وقد اتفقا عليه ومات فـي ولاية خالد بن عبد الله القسري على العراق وكانت ولايته من سنة خمس ومائة إلى أن عزل عنها في سنة عشرين ومائـة انتهى.

ولخص ذلك شيخنا حيث قال: كان قاضي الكوفة فـي زمان أمارة خالد القسري على العراق وذلك بعد المائة وقـد علق على ذلك البخاري في صحيحه فقـال: وقضـى ابـن الأشوع بالوعد وذكر ذلك عن سمرة بن جندب رضـي الله عنه وقال شيخنا في الفتح وقع بيان رواية ابن أشـوع لـذلك عن سمرة في تفسير أسحاق بن راهويه قال البخاري ورأيت إسحاق ابن إبراهيم وهو ابن راهويه يحتج بحديث ابن أشوع يعني عن سمرة في القول بوجوب انجـاز الوعـد وتـرجم البخاري باب من أمر بانجاز الوعد قال وفعلـه أي الأمـر بإنجاز الوعد الحسن وكأنه البصري راوي حديث العدة عطية قلت وكذا حكي القول بالوجوب عن أحمد.

وفي ثالث عشر المجالسة عن الدينوري عن الحسن بن أبي جعفر قال سمع مطرف رجلا يقول أستغفر الله وأتـوب إليه فأخذ بذراعه وقال لعلك لا تفعل من وعد فقد أوجب وفي أنيس المنقطعين أنه قيل لبعض الصالحين وقد أصبح صائما تطوعا افطر فإن المتطوع أمير نفسه فقال أني لاستحي مـن ربي عزوجل أن أعده وعدا وهو أن أصوم ولا أوفـي لـه بوعدي ثم قال النووي قال يعني ابن العربي وذهبت المالكية مذهبا ثالثا إلى أنه ارتبط الوعد بسبب كقوله تزوج ولك كـذا أو أحلف إنك لا تشتمني ولك كذا وجب الوفاء بالوعد ونحـو ذلك وإن كان وعدا مطلقا لم يجب.

انتهى وخرج بعضهم الخلاف على أن الهبة هل تملك بالقبض أو قبله وأشار النووي إلى ذلك بقوله واستدل من لـم يوجبه بأنه في معنى الهبة والهبة لا تلزم إلا بـالقبض عنـد الجمهور وعند المالكية تلزم قبل القبض وأما الأنبياء علـيهم السلام فسيأتي عن ابن عباس رضـي الله عنهمـا أنهـم لا يخلفون الوعد وهذا يحتمل أن يكون وجوبا ويحتمل أن يكون خلافه وجزم غير واحد كما سيأتي أيضا بأن إنفاذ الصـديق

رضي الله عنه لعـدة رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم مخصوص به صلى الله عليه وسلم والله أعلم.

إذا علم هذا فقد استشكل والد شيخنا رحمهما الله عـدم الوجوب حيث قال لم يذكر يعني النووي جوابا عن الآيـات التي صدر بها الباب من الأذكار وهي ﴿ وَأوفوا بِعهدِ اللهِ إذا عاهدتُم ﴾.

ثم ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفـوا بِـالعقود ﴾ ﴿ وَأوفـوا بِالعهدِ إن العهد كان مسؤولا ﴾ ﴿ يا أيها الـذين آمنـوا لَـم تُقولون ما لا تَفعلون كَبر مقتاً عِند اللّهِ أن تَقولوا ما لا تَفعلون ﴾ وهذه الأخيرة كما قال أشدها ولا عن الأحاديث التي فيهـا آية المنافق إذا وعد أخاف لا سيما آيـة الصـف والحـديث المذكور والدلالة على الوجوب منها قوية فكيف حملوه علـى كراهة التنزيه مع هذا الزجر الشديد الذي لم يرد مثله إلا في المحرمات الشديدة التحريم وأورده شيخنا في الفتح حيث قال: وقرأت بخط أبي رحمه الله في إشكالات على الأذكار للنووي ولم يذكر جوابا عن الآية والحديث يعني قوله تعالى كبر مقتا

عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وحديث آيـة المنـافق قـال والدلالة إلى آخره.

قلت ولم ينفرد والد شيخنا بالبحث في ذلك فقـد قـال الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله وناهيك به قول الأصحاب لا يجب الوفاء بالشرط مشكل لأن ظواهر الآيـات والسـنة تقتضي وجوبه وإخلاف الوعد كذب والكـذب مـن أخـلاق المنافقين قال ولا أقول يبقى دينا في ذمته حتى يقضـي مـن تركته وإنما يجب الوفاء به تحقيقا للصدق وعـدم الإخـلاف وتصير الواجبات ثلاثة منها ما هو ثابت في الذمة ويطالـب بأدائه وهو الدين على موسر وكل عبادة وجبت وتمكن منهـا ومنها ما يثبت في الذمة ولا يجب أداؤه كالزكاة بعد الحـول وقبل التمكن ومنها ما لم يثبت في الذمة ويجب أداؤه كهذا.

وسلك شيخنا طريقة أخرى حيث قال وينظر هل يمكن أن يقال يحرم الإخلاف ولا يجب الوفاء أي يأثم بـالإخلاف وإن كان لا يلزم بوفاء ذلك قلت ونظير ذلك نفقة القريب فإنه إذا مضت مدة يأثم بعدم الدفع ولا يلزم به ونحوه قولهم فـي فايدة القول بأن الكفار مخاطبون بفروع الشـريعة تضـعيف

العذاب عليهم في الآخرة مع عدم إلزامهم بالإتيان بهـا والله المستعان.

وإلى هذا الإستشكال أشار صاحب الخادم فـي آخـر الهبة فقال فإن قيل فيجب الوفاء بالوعد للخروج عن الكـذب فإنه حرام وترك الحرام واجب وقد ذكـر المـاوردي فـي الشهادات في الكلام على المروءة أن مخالفة الوعد كذب ترد به الشهادة فالجواب ما قال الغزالي في الإحيـاء أن إخـلاف الوعد إنما يكون كذبا إذا لم يكن في عزمه حين الوعد الوفاء به أما لو كان عازما عليه ثم بدا له الا يفعل فليس بكذب لأنه حينئذ إخبار عما في نفسه وكان مطابقا له فيكون صدقا.

وقد عده الغزالي رحمه الله في إحيائـه مـن حقـوق المسلم فقال منها ألا يعد مسلما بوعد إلا ويفي به ثم إن كل ما أسفلته في الوعد بالخير أما الوعد بالشر فيستحب إخلافه وقد يجب ما لم يترتب على ترك إنفاذه مفسدة وقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم من وعده الله عزوجل على عمل ثوابا فهو منجـز لـه ومن أوعده الله على عمل عقابا فهو بالخيار.

أخرجه أبو يعلى في مسنده من حديث سهيل بن أبـي حزم القطعي عن ثابت البناني عنه وقال عبد الملك بن قريب الأصمعي كنت عند أبي عمرو بن العلا فجاء عمرو بن عبيد فقال يا أبا عمرو الله يخلف الميعاد قال لا قال فإذا وعد على عمل ثوابا أنجزه قال نعم قال وإذا وعد علـى عمـل عقابـا أنجزه قال إن الوعد عند العرب غير الوعيد إن العرب لا تعد خلفا أن تعد الشر فلا تفي به إنما الخلف عندهم أن يعد الخير فلا يفي به أما سمعت قول الشاعر:

ولا يرهب ابن العمِ والجار صولتي ** ولا انثنى مني صولةِ المتَهدِدِ

وإني إذا أَوعدتُه ووعدتُه ** لِيكذب إيعادي ويصدقَ موعدي

أخرجه الخرايطي في مكارم الاخلاق.

وفي الجزء الثالث عشر من المجالسـة مـن طريـق المدايني قال ذكر حيان بن سليم عامر بن الطفيل فقال كـان والله إذا وعد الخير وفاو إذا أوعد الشر أخلف قال وأنشد أبو عمرو بن العلا في نحو هذا المعنى فذكرهما بلفظ :

ولا يرهب ابن العمِ ما شِئتَ صولتي ** ويأمن مني صولة المتَهدِدِ

وإني إذا أوعدتُه أو وعدتُه ** لِيكذب إيعادي ويصدقَ موعدي

وهو موافق لصنيعهم في الفرق بين الخير والشر حيث يقال في الخير وعدته وفي الشر أوعدته لكن هذا محله فيما إذا أسقط الفعل أما إذا أثبت فلا فرق فقد قال صاحب المحكم: يقال وعدته خيرا ووعدته شرا قال فإذا أسقطوا الفعل قالوا في الخير وعدته وفي الشر أوعدته على أن ابن الاعرابي قد حكى في نوادره أوعدته خيرا بالهمز أيضا وأنشدن ابن قتيبة لرجل في الحجاج بن يوسف كما في الثالث عشر من المجالسة.

كَأن فُؤَادي بين أظفارِ وطائِرٍ ** مِن الخَوفِ في جو السما محلِق

حِذار امرءا قَد كُنتُ أعلمُ أنّه ** متى ما يعد مِن نَفسِهِ الشَر يصدقُ

وقال تعالى: ﴿ وإن يك صادِقا يصِبكُم بعض الذي يعِدكُم ﴾ ومن آيات الوعد: ﴿أفَمن وعدناه وعداً حسناً فَهو لاقيهِ ﴾ ﴿ وعدكُم اللهُ مغانِم كثيرةً تَأخُذُونَها فَعجلَ لَكُم هذِهِ وكَف أيدي الناسِ عنكُم ﴾.

الآحاديث الواردة في الوفاء بالوعد :

ورابعها في الاحاديث والآثار الواردة في الوفاء بالوعد وقد كان صلى الله عليه وسلم أعظم خلق الله وفـاءا بالوعـد حتى جاء عن عبد الله بن أبي الحمسا رضي الله عنه أنه قال: (بايعت النبي قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك) رواه أبو داود في سننه وفي سنده خلاف وقد ذكر الواحـدي عنـد تفسير قوله تعالى عن إسماعيل عليه السلام أنه كان صـادق الوعد نقلا عن مقاتل أنه قام ينتظر إنسانا لميعاد ثلاثة أيـام وهذا أورده في أنيس المنقطعين فقال حكى أن إسماعيل عليه السلام وعد إنسانا أن ينتظره في مكان فمضى ذلك الإنسـان ونسي وعده فعاد إليه بعد ثلاثة أيام أو أكثر وإسماعيل عليـه السلام ينتظره في ذلك المكان فتعجب الرجل ومدح إسماعيل رب العرش فقال إنه كان صادق الوعد انتهى بل قال الكلبي أنه أقام حتى حال عليه الحول وهذا حكاه الزمخشري فقـال: وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن إسماعيل عليه السـلام وعد صاحبا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة ورواه ابن أبي حاتم من طريق الثوري أنه بلغه أن إسماعيل عليه السلام

دخل قرية هو ورجل فأرسله في حاجة وقال إنه ينتظره فأقام حولا كاملا في انتظاره وعنده أيضا من طريق ابن شـوذب أنه اتخذ ذلك مسكنا فسمى من يومئذ صـادق الوعـد وفـي الإحياء يقال أن إسماعيل عليه السلام واعد إنسانا في موضع فلم يرجع إليه فبقى اثنين وعشرين يوما في انتظـاره وهـذا خرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت مـن حـديث يزيـد الرقاشي أن إسماعيل نبي الله وعد رجلا ميعادا فجلـس لـه إسماعيل عليه السلام اثنين وعشرين يوما مكانـه لا يبـرح للميعاد ولها الآخر عن ذلك حتى جاء بعد ذلك قلت ويجمـع بينهما على تقدير الصحة في كلها بالتعـدد وقـد روى عـن مجاهد أن إسماعيل عليه السلام لم يعد بشيء إلا وفـى بـه وهذه الآية أوردها البخاري حيث ترجم في صحيحه باب من أمر بإنجاز الوعد.

وجاء عن محمد بن سيرين أنه انتظر أيضا فعند ابـن أبي الدنيا في الصمت من طريق ابن عبد ربه القصاب قـال واعدت محمد بن سيرين أن اشترى لـه أضـاحي فنسـيت موعده لشغل ثم ذكرت بعد فأتيته قريبا من نصف النهار وإذا محمد ينتظرني فسلمت عليه فرفع رأسه فقال أما أنه قد يقبل

أهون ذنب منك فقلت شغلت وعنفني أصحابي في المجـيء إليك وقالوا قد ذهب ولم يقعد إلى الساعة فقال لو لم تج حتى تغرب الشمس ما قمت من مقعدي هذا إلا للصلاة أو حاجة لا بد منها وأقت بعضهم الانتظار بحد فإن لم يجد فارق وروى ابن أبي الدنيا أيضا عن الحسن بن عبيد الله النخعي قال قلت لإبراهيم النخعي يواعد الرجل الميعاد ولا يجىء قال لينتظره ما بينه وبين أن يدخل وقت الصلاة التي تجىء وأشار إليـه الغزالي في الإحياء.

ومن الأدلة في الوفاء بالوعد ما أورده البخـاري فـي الباب السابق عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير أنه سـأل ابن عباس رضي الله عنهما أي الأجلين أي المشار إليهما في قوله تعالى ﴿ ثَماني حجج فَإِن أَتممت عشرا فَمِن عِنـدك ﴾ قضى موسى عليه السلام فقال قضى أكثرهما وأطيبهما يعني عشر سنين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل.

وكذا رواه حكيم بن جبير وغيره عن سعيد ولفظ حكيم إن النبي صلى الله عليه وسلم إذا وعد لـم يخلـف والمـراد برسول الله صلى الله عليه وسلم أو نبي الله من اتصف بذلك

ولم يرد شخصا بعينه ووجه الاستدلال من هـذا أن موسـى عليه السلام لم يجزم بوفا العشر في قوله ﴿ ذَلِك بيني وبينَـك أَيما الأَجلَين قَضيتَ ﴾ بعد قوله له ﴿ على أَن تَأجرني ثَماني حجج فَإِن أَتممتَ عشرا فَمِن عِندك ﴾ ومع عدم جزمه عليـه السلام وفاها فكيف لو جزم قال ابن الجوزي لما رأى موسى عليه السلام تلفت شعيب عليه السلام متعلقا للزيادة لم يقتض كريم أخلاقه أن يخيب ظنه فيه.

ويروي في داود عليه السلام بخصوصه أنه كـان لا يخاف وعدا وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال دخلت على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فسايلني وهو يظن أنـي لأم كلثوم ابنة عقبة فقلت إنما أنا للكلبية فقال عبد الله دخـل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألم أخبر أنك تقـرأ القرآن في كل يوم وليلة صم صوم داود صم يومـا وأفطـر يوما فإنه أعدل الصيام وكان لا يخاف الوعد رواه أحمد وهو في الصحيح ولكن بدون المقصود منه وعن عبد الرحمن ابن أبزى قال كان داود عليه السلام يقول لا تعدن أخاك شـيئا لا تنجزه له فإن ذلك يورث بينك وبينه عداوة أخرجه الخرائطي ولكون الأنبياء لا يخلفون الوعد كان النبي صـلى الله عليـه

وسلم فيما قاله الغزالي في الإحياء إذا وعد وعدا قال عسى لكن قال مخرجه إنه لم يجده وكذا كان بعض التابعين رحمهم الله يستثنى فروى ابن أبي الدنيا عن أبي اسحاق قال كان أصحاب عبد الله يعني ابن مسعود يقولون إذا وعد فقال إن شاء الله لم يخلف وأشار إليه الغزالي في الإحياء قال وهو الأولى وربما توقف صلى الله عليه وسلم عن الالتزام بالوعد كما رواه الخرايطي في المكارم عن الحسن البصري مرسلا أن امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فلم تجده فقالت عدني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العدة عطية وهو في المراسيل لأبي داود وكذا الصمت لابن أبي الدنيا من حديث يونس بن عبيد البصري عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال العدة عطية.

وكذا هو في أول الفوائد التي بآخر مسند عمر للنجاد من حديث يونس ابن عبيد عن الحسن قال سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي ما أعطيك فقال تعدني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العدة واجبة وهذا المتن قد روى عن قباث بن أشيم الليثي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العدة عطية رواه الطبراني

في الأوسط وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لا يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجز له فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العدة عطية**) رواه القضاعي في مسند الشهاب والطبراني في الأوسط وغيرهما ولفظه عند أبي نعيم في الحلية إذا وعد أحدكم صبيه فلينجز له فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**العدة عطية والموقوف منه**) رواه البخاري في الأدب المفرد.

ومن حديث أبي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم ولده شيئا ثم لا ينجز له وجاء في ذلك حديث مرفوع فعن عبد الله بن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال جاء رسول الله إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعال أعطيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ما أردت أن تعطيه قالت أردت أعطيه تمرا لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة**) رواه أحمد والبخاري في تاريخه وابن سعد والطبراني والذهلي والخرائطي وآخرون.

ومن شواهد حديث (العدة عطية) ما روى بنحوه عـن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليـه وسلم قال: (**عدة المؤمن دين وعدة المؤمن كالأخـذ باليـد**) أخرجه الديلمي في مسنده وهو عنده وكذا الطبراني وغيرهما عن علي رضي الله عنهما أيضا عن النبي صـلى الله عليـه وسلم أنه قال: (**العدة دين ويل لمن وعد ثم أخلف ويـل لـه ويل له ثلاثا**) ورواه القضاعي في مسنده مقتصرا على قوله (**العدة دين**) وعن ابن المبارك عن ابن لهيعـة معضـلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الوأي يعني الوعد مثـل الدين أو أفضل أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وهو عنـد الديلمي في مسنده بسند ضعيف عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**الواعد بالعدة مثل الدين أو أشـد**) وهذه الطرق يؤكد بعضها بعضا.

وفي الأمر بالوفاء بالوعد والهي عـن الخلـف فيـه أحاديث أيضا منها عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال: (**اصـدقوا إذا حـدثتم وأوفوا إذا وعدتم**) رواه ابن حبان في صحيحه وكذا الحـاكم في مستدركه وغيرهما وعن عبد الله بن عبـاس رضـي الله

عنهما قال أخبرني أبو سفيان رضي الله عنه أن هرقل قال له سألتك ماذا يأمركم فزعمت (**أنه يأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة قال وهذه صفة نبي**) أخرجه البخاري في باب من أمر بإنجاز الوعد من صحيحه وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**تقبلوا لي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي قال: إذا وعد أحدكم فلا يخلف وذكر باقيها**) أخرجه أحمد بن منيع والحسن بن سفيان وابو يعلى في مسانيدهم وآخرون منهم الحاكم في مستدركه واقتصر بعضهم منه على قوله (**إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف**).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**اكفلوا لي ست خصال اضمن لكم الجنة**).

وذكر منها الوفاء بالوعد أخرجه الطبراني وهو عندنا بعلو في عشاريات شيخنا وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه عند الطبراني في الأوسط.

وعن الزبير بن عدي مرسلا عند سعيد بن منصور والبيهقي في الشعب وعن الحسن مرسلا أيضا عن سعيد فقط

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعـده موعـدا فتخلفه**) أخرجه البخاري في الادب المفرد.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**من عامل النـاس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو من كملت مرؤته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته**) أخرجه العسكري في الامثال والديلمي في مسنده.

وجاء في التنفير من إخلاف الوعد - من حديث أبـي بكر الصديق وابن مسعود وابن عمرو وأنس وجـابر وأبـي هريرة وأبي سعيد الخدري وغيرهم من الصحابة رضـي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم ما هو أشد ممـا تقـدم حيث عده منافقا وهو كما قال حجة الاسلام محمول على من وعد وهو على عزم الخلاف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفا وعن له عذر منعه من الوفاء لـم يكـن منافقا وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن يحترز من صورة النفاق كما يحترز من حقيقته قال ولا ينبغي أن يجعل

نفسه معذورا من غير ضرورة فقد روي أن النبي صـلى الله عليه وسلم كان قد وعد أبا الهيثم ابن التيهان خادمـا فـأتي بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقى واحد فجاءت فاطمة ابنة رسول الله تطلب منه خادما وهي تقول ألا ترى أثر الرحا يا رسول الله في يدي فذكر موعده لأبي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لأبي الهيثم فآثره به على فاطمة لما سبق من موعده له مع إنها كانت تدير الرحا بيدها.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا يقسـم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعدا يا رسول الله فقال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي لك ولقد احتكمت يسيرا فلصـاحبة موسـى عليـه السلام التي دلته على عظام يوسف عليه السلام كانت أحـزم وأجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه السـلام فقالـت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة قال فكـان النـاس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا يقولـون أقنـع مـن صاحب الثمانين والراعي.

وقصة أبي الهيثم عند الترمذي من حديث أبي هريـرة رضي الله عنه لكن بدون ذكر ما هنا من قصة فاطمة رضي الله عنها وأما حديث الذي جاءه وهو يقسـم غنـائم هـوازن بحنين فاخرجه ابن حبان والحاكم في المسـتدرك وصـحح إسناده من حديث أبي موسى رضي الله عنه وفيه نظر كمـا قال العراقي شيخ شيخي رحمهما الله مع اختلاف في سنده ثم إن المحمل الذي حمل الغزالي عليه الأحاديث التي في التنفير قد جاء مقيدا به في حديث رويناه في الطبراني مـن حـديث أبي وقاص عن سلمان الفارسي رضي الله عنـه أن النبـي صلى الله عليه وسلم قال في حديث طويل إذا وعـد أحـدكم وهو يحدث نفسه أنه يخلف وهو في سنن أبي داود والترمذي وقال: حديث غريب من حديث أبي وقاص المذكور عن زيد بن أرقم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قـال: إذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يفي فلم يـف ولـم يجـى للميعاد فلا إثم عليه وقد أشار الغزالي إليه وقوله لـم يجـى للميعاد ليست عند الترمذي ومعناها لم يجى الوقت الذي قدر الله وقوعها فيه.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال سـمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**من شرط لأخيه شرطا لا يريـد أن يفي له فهو كالمدلي جاره إلى غير منعه**) أخرجه أحمـد وللخوف من هذا الترهيب بادر عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما كما أخرجه ابن أبي الدنيا في الصـمت مـن حـديث هارون بن رئاب قال لما حضرت عبد الله بن عمـرو بـن العاص الوفاة قال إنه قد كان خطب إلي إبنتـي رجـل مـن قريش وقد كان مني غليه شبيه بالوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق اشهدوا أنى قد زوجتها إياه.

وهكذا أورده الغزالي في الاحياء لكنه كما في النسخة التي وقفت عليها جعله ابن عمر لا ابن عمرو وكان بعـض السادات يغتم إذا وعد حتى يفي فعن معاذ بن العلا قال سـال رجل أبا عمرو بن العلا بن العلا حاجة فوعده بهـا ثـم إن الحاجة تعذرت على أبي عمرو فلقيه الرجل بعد ذلك فقال له أبو عمرو وعدتني وعدا تنجزه فقال أبو عمرو فمـن أولـى بالغم قال أنا قال لا بل أنا قال الرجل وكيف ذلك أصلحك الله قال لأني وعدتك وعدا فإبت بفرح الوعد وإبـت أنـا بهـم الإنجاز فبت ليلتك فرحا مسروا وبت ليلتي مفكرا مهموما ثم

عاق القدر عن بلوغ الإرادة فلقيتني مدلا ولقيتـك محتشـما أخرجه الخرائطي.

بل كان بعضهم يحذر من التقيد بعهـدة الوعـد فعـن فرات بن سلمان قال كان يقال إذا سئلت فلا تعد وقل اسمع ما تقول فإن يقدر شيء كان وعن الطيالسي عن شعبة قال مـا واعدت أيوب يعني السختياني موعدا قد غلا قال حين يريـد أن يفارقني ليس بيني وبينك موعد فإذا جئت وجدته قد سبقني ونحوه قول أبي عوانة كان رقبة يعدنا في الحديث ثم يقـول ليس بيني وبينك موعد نأثم من تركه ويسبقنا مع ذلـك إليـه رواها كلها ابن أبي الدنيا في الصمت وعن المهلب بن أبـي صفرة أنه قال لابنه عبد الملك يا بني إنمـا كانـت وصـية رسول الله صلى الله عليه وسلم عدات أنفذها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلا تبدأ بالعدة فإن مخرجها سهل ومصـدرها وعر واعلم أن لا وإن قبحت فربما روحت ولم توجب الطمع أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وحديث إنفاذ أبي بكر عـدة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه البخاري في إنجـاز الوعد في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال لما مات النبـي صلى الله عليه وسلم جاء أبو بكر رضي الله عنه مـن قبـل

العلا بن الحضرمي فقال أبو بكر رضي الله عنه من كان له على النبي صلى الله عليه وسلم دين أو كانت له قبلـه عـدة فليأتنا قال جابر فقلت وعدني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا فبسط يديه ثلاث مرات قـال جابر فعد في يدي خمسمائة ثم خمسمائة ثم خمسمائة انتهـى واشار غير واحد كما حكاه شيخنا إلى أن ذلك من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن بطال لما كـان النبـي صلى الله عليه وسلم أولى الناس بمكارم الأخـلاق أدى أبـو بكر مواعيده عنه ولم يسأل جابر البينة على ما ادعاه لأنه لم يدع شيئا في ذمة النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ادعى شيئا في بيت المال وذلك موكول إلى اجتهاد الإمام وفي التنزيـل الثنا على نبي الله السيد إسماعيل عليه السلام كما تقدم بأنـه كان صادق الوعد وكذا أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على بعض الموفين فروى البخاري من حديث المسور رضـي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر صهرا له من بني عبد شمس فقال وعدني فوفاني ومما جـاء عـن السلف أن عوف ابن النعمان الشيباني كان يقول في الجاهلية لأن أموت عطشا أحب إلي من أن أموت مخلافا لوعد رواه

الخرايطي في المكارم وابن أبي الدنيا في الصمت والدينوري في الثالث عشر من المجالسة وعن الخرايطي أنه قـال آفـة المروءة خلف الوعد وعن إياس بن معاوية قال لأن يكون في فعال الخير للمرء فضل عن قوله أجمل من أن يكـون فـي قوله فضل عن فعاله وعن الأصمعي قال وصـف أعرابـي قوما فقال (أولئك قوم أدبتهم الحكمة وأحكمهم التجارب ولـم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ورحل عنهم التسويف الذي قطع الناس به مسافة آجالهم فـذلت ألسـنتهم بالوعـد وانبسطت أيديهم بالانجاز فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعـال) أخرجه الخرايطي وعن الحسن البصري رحمه الله قال فضل الفعال على المقال مكرمة وفضل المقال على الفعال منقصـة أخرجه أبو نعيم في الحلية وعن ابن فضيل كان عمـر بـن هبيرة يقول: اللهم لا تجعل قولي فوق عملي ولا تجعل أسوأ عملي ما قرب من أجلي أخرجه الدينوري في المجالسة.

وفيها أيضا من حديث صالح بن كيسان قـال خـرج علينا الزهري من عند هشام بن عبد الملك فقال لقد تكلم اليوم رجل عند أمير المؤمنين ما سمعت كلاما أحلى منه قال له يا أمير المؤمنين اسمع مني: أربع فيهن صلاح دينـك وملكـك

وآخرتك ودنياك قال ما هي قال لا تعدن أحد عدة وأنـت لا تريد إنجازها ولا يغرنك مرتفق سهلا إذا كان المنحدر وعرا واعلم أن الأعمال آخرا فاحذر العواقب وأن الـدهر تـارات فكن على حذر.

ومن كلمات السلف: الوعد سـحابة والإنجـاز مطـر وأحسن المواعيد ما صدقه الإمطار والله الموفق.

اشعار الوفاء بالوعد :

وخامسها في شيء من الأشعار في ذلك فجـاء عـن الفضل بن عباس بن عتبة ابن أبي لهب كما أورده ابن أبـي الدنيا في الصمت.

ِإنّا ُأناس ِمن سجِيتنا صِدقُ الحديثِ

ووَأينا حتم شَر الإِخاء َأخا مزدرد

مزج الإِخاءِ إِخاؤه وهم لَيسوا الحياء

فَإِن نَظرت حِسبتَهم سقَموا ولَم يمسسهموا

سقم زعم ابن عمي أن حِلمي

ضرني ما ضر قبلي أهله الحِلم

وعن أبي قاموس الحميري يمدح يحيى بن خالد البرمكي في عدم نسيانه الوعد قال: ينسى الذي كان من معروفه أبداً إلى الرجال ولا ينسى الذي يعد وعن الحسن بن علي المخرمي في التحريض على الوفاء بالوعد:

لأحسن من ظبيةً بالجرد مقرطِقة

ثديها قد نهد ومبسمها واضح نير

وفي خدها ضوء نار تقد وأحسن منها

على حسنها تقاضى الفتى نفسه ما وعد

وعن شيخنا مما يذكر به شخصا في الوفاء له بوعده: يا صادقَ الوعدِ قولاً وصادِق الودِ فعلاً أتيت بابك أرجو تنجيز وعدك فضلاً وعن غيره:

يا بن الكِرام الغُر وعدك أنني

مديم على مر الزمان لَك شُكراً

فَلا زِلتَ بِالمعروف برا لقَصاد

وصدرك بِالُعرفان بين الملا بحراً

وعن آخر:

أَهزك لا أَني وجدتُك ناسِيا لَوعدي

ولا أَني أَريد التَقاضِيا

لَستُ أَستَقبِح اِقتَضاك بِوعدٍ لا

وإِن كُنتَ سيد الكُرماء

فإِله السماءِ قَد ضمِن الرزقَ

عليهِ ويقضى بِالدعاء

ويقرب منه:

حث الجوادِ على النَدا وتُقاضه

بِالوعد واحمِلْه على الإِنجازِ

ودع الوثوق بِطَبعِهِ فَلَربما

نَشِطَ الجواد بِشَوكَةِ الْهمازِ

وقال أبو جعفر محمد بن علي العدوي:

تَيممت ما َأرجوه مِن حسن

وعدكُم فَكُنتَ كما يرجو منالَ

الفَراِقد هبوني لَم َأستاهِل العرفَ مِنكُم

َأما كُنتُموا أهلاَ ِلصِدقِ المواعِدِ

عدة الكريم نقد وتعجيل وإسعاد وتكميل.

وقال غيره:

كُلُ جودٍ وِإن تَعاظَم قَدراً

قُل مِن فَرطِ كَثَرةٍ التَرداد

إنما الجود بالحياة ولكن

يعتريها السقام بالميعاد

ولمهيار الديلمي في استنجاز وعد :

أظلت علينا منك يوماً غمامةً

أضاء لها برقٌ وأبطا رشاشُها

وفي ذم الاخلاف بالوعد من الأشعار أيضا قول كعب بن زهير في **قصيدته الشهيرة**:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً

وما مواعيدها إلاّ الأباطِيلَ

قلت وعرقوب كان رجلا من العماليق وهو عرقـوب بن معبد بن زهرة أحد بني شمس بن ثعلبة وقيل غير ذلـك وكان من خبره أنه أتاه أخ له يسأله شيئا فقال إذا أطلع نخلي فلما أطلع أتاه قال إذا أبلح فلما أبلح أتاه قال إذا أزهى فلمـا أزهى أتاه قال إذا أرطب فلما أرطب أتاه قال إذا صار تمـرا

فلما صار تمرا جذه بالليل ولم يعطه شـيئا فصـار المثـل يضرب به في الإخلاف فيقال أخاف من عرقوب.

وأنشد ابن قتيبة كما في ثالث عشر من المجالسة:

لِسانُكَ أحلى مِن جنى النَحل موعِدا

وكفُّكَ بِالمعروفِ أضيق مِن قُفل

تَمنَى الذي يأتِيك حتى إِذا إنتَهى

إِلى أجلٍ ناولتَه طَرفُ الحبل

وقال آخر:

لَم أَثِق مِنه بِوعدٍ ومواعيد كزور ** هكذا إبليس في الدنيا أمانيهِ غُرور

وقال غيره:

ولا أُطالِب في الدنيا بِهِ أحداً

ولا أَلوم أَخا غَدرٍ إذا غَدرا

ومن يعولُ في الدنيا على بشرٍ

فإِنّه بشر لا يعرِفُ البشرا

وهذه آخره والحمد لله وحده وصلى الله علـى مـن لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وجنده.